اجتهادات
فلسفة فنان عظيم

لا يقتصر إحياء الذكرى المئوية الخامسة للفنان العظيم ليوناردو دافنشي، المتوفى عام 1519، على موطنه فى إيطاليا. محبو فنه، ومن يعرفون قيمته الكبيرة فى عالم الرسم والتصوير والنحت، يحيون ذكراه فى بلدان أخرى أيضا.

أسهم دافنشى فى نقل الفن إلى مرحلة جديدة خلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر، وقام بدور أساسى فى تدشين عصر النهضة Renaissance، الذى انتقل العالم عبره إلى العصر الحديث.

كان الإنسان قد شرع فى السعى إلى اكتشاف نفسه وروحه اللتين أزهقهما التخلف على مدى الزمن. ولذلك لعب الموهوبون فى الفن بأشكاله المتعددة الدور المحورى فى التعبير عن روح الإنسان التوَّاقة إلى التقدم فى تلك اللحظة الفاصلة بين مرحلتين فى تاريخ البشرية. وكان للرسم والتصوير والنحت والموسيقى أهمية كبرى فى هذا التحول، نظراً لانتشار الأمية على نحو جعل الفنون البصرية والسمعية هى الأكثر تأثيرا فى الناس.

بدأ الفن فى ذلك الوقت فى التعبير عن مواقف ومعان إنسانية حية، ويتجاوز النماذج الكلاسيكية الموروثة منذ العصر البيزنطي، ويصبح رافعة من أهم روافع النهضة. وكان دافنشى أحد أعظم فنانى تلك المرحلة. فنان تعددت مواهبه فى مجالات شتى من النحت والمعمار والموسيقى إلى

العلم، حيث درس الهندسة، واشتد ولعه بالطيران، وحلم بيوم يطير فيه الإنسان قبل أكثر من خمسة قرون على اختراع الطائرة.

ولذلك نظلمه عندما نختزل إبداعه فى لوحته الأكثر شهرة موناليزا، التى لا تعد أفضل لوحات عصر النهضة من حيث القيمة الجمالية، ولا هى أجمل لوحاته، وفق تقدير بعض من درسوه بعمق، حين نقارنها بلوحات أخرى رسمها. ولكن موناليزا أحد أهم الأعمال الفنية التى عبرت فى وقت مبكر جدا عن التغير الذى كان يحدث فى نظرة الإنسان إلى نفسه ومجتمعه، وإلى الكون فى مجمله، وعن تجاوز المظهر الخارجى والنفاذ إلى الأعماق بحثا عن الدوافع المحركة، فى الوقت الذى بدأ عدد متزايد من الناس فى الاهتمام بالفن من زاوية إشباع الروح، وليس إمتاع البصر.

ولذلك، نأمل أن تهتم المؤسسات الثقافية بمناقشة فلسفة فن دافنشى فى المئوية الخامسة لرحيله.